العلاقات السوفييتية ـ السعودية
١٩٢٦ ـ ١٩٣٨

م. د. أمير علي حسين
كلية التربية / جامعة ميسان

المقدمة

يكتسب موضوع **"العلاقات السوفييتية ـ السعودية ١٩٢٦-١٩٣٨"** أهميته من عوامل عدة ، منها ما يتعلق بطرفي الموضوع ، وأخرى تتعلق بالمرحلة التاريخية التي غطاها البحث ، فضلا عن الظروف الدولية التي كانت سائدة ، والتي أثرت في تلك العلاقات بصورة كبيرة .

كان الاتحاد السوفييتي ، تلك القوة العظمى التي نشأت على أنقاض النظام القيصري في روسيا بعد ثورة عام ١٩١٧ ، يبحث عن دور عالمي يحقق له امتدادا عقائديا ، فان لم يكن ذلك الامتداد ممكنا ، فان منافسة الوجود الغربي ولاسيما البريطاني ، كان هدفا واقعيا عمل الاتحاد السوفييتي على تحقيقه ، وبخاصة في المناطق التي كان من الصعب التوغل فيها عقائديا ، لطبيعتها الدينية والاجتماعية والثقافية كالمملكة العربية السعودية .

وكما إن الاتحاد السوفييتي كان حديث النشأة ، فان المملكة العربية السعودية كانت كذلك في طور التكوين على يد الملك عبد العزيز آل سعود ، الذي كان يبحث في تلك المرحلة عن كسب التأييد والدعم لجهوده في تدعيم أركان مملكته ولتحقيق نوع من التوازن مع الوجود البريطاني المهيمن على شؤون الجزيرة العربية ، ومن هذا المنطلق فان المصالح قد جمعت بين الاتحاد السوفييتي ذو العقيدة الشيوعية بالمملكة العربية السعودية ذات الخلفية الدينية الوهابية ، فكانت العلاقات بينهما خلال تلك المرحلة التاريخية المهمة تطورا مهما يستحق الدراسة والبحث ، لاسيما إن اغلب الدراسات الأكاديمية التاريخية الخاصة بالمملكة العربية السعودية تركز بصورة دائمة على العلاقات السعودية ـ الغربية ولا تقف كثيرا عند هذه الصفحة المهمة من تاريخ العلاقات الخارجية السعودية ، كما إن الدراسات الخاصة بالعلاقات السوفييتية ـ العربية تركز عادةً على العلاقات مع الدول العربية ذات الأنظمة الثورية والقومية التي ظهرت في خمسينيات القرن العشرين وارتبطت بعلاقات قوية مع موسكو ، كمصر وسوريا والعراق .

وهذا البحث هو محاولة لتتبع تلك العلاقات ، ودراسة الظروف التي نشأت فيها والعوامل التي تحكمت بها ، فضلا عن العوامل الدولية التي ألقت بظلالها على تلك العلاقات وأثرت بها ، وقد تم اختيار عام ١٩٢٦ كبداية للبحث لأنه شهد اعتراف الاتحاد السوفييتي بسيطرة الملك عبد العزيز على الحجاز ، وبداية العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين الطرفين ، في حين أملت الضرورة أن يقف البحث عند عام ١٩٣٨ ، لأنه العام الذي شهد قطع العلاقات السوفييتية ـ السعودية نتيجة لجملة من العوامل التي سنعرض لها أثناء البحث .

البدايات الأولى للعلاقات
السوفييتية ـ السعودية

ابدي القياصرة الروس اهتماما كبيرا بمنطقة الخليج والجزيرة العربية ، وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكانوا يطمحون في سياستهم الخارجية إلى التوسع الجغرافي على الحدود الجنوبية لإمبراطوريتهم باتجاه إيران وأفغانستان ، للوصول إلى سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي ، أو ما عرف في الأدبيات السياسية الروسية بـ **"المياه الدافئة"** (١) .

لقد أدت تلك السياسة إلى حالة من التنافس بين روسيا وبريطانيا في منطقة الخليج العربي(٢)، إذ كانت الأخيرة عقبة حالت بين الروس وبين تحقيق طموحاتهم ، لذلك حرص هؤلاء على مواجهة البريطانيين وتحدي سيطرتهم ، وكانت لهم محاولات للنفوذ إلى منطقة المشرق العربي بصورة عامة(٣)

والخليج العربي بصورة خاصة[٤]، شكل بعضها تحديا وتهديدا حقيقيا للبريطانيين ، ولعل من أهمها محاولتهم عقد اتفاقية حماية مع شيخ الكويت مبارك الصباح[٥] الذي ذكرت بعض المصادر انه كان راغبا في عقد تلك الاتفاقية في عام ١٩٠١[٦]، إلا إن جهود الروس باءت بالفشل بسبب القيود التي كانت بريطانيا قد فرضتها على الكويت بموجب اتفاقية الحماية عام ١٨٩٩ [٧]، ولكنهم استمروا رغم ذلك في المطالبة بان يكون الخليج العربي مفتوحاً للملاحة أمام أساطيل الدول الكبرى ، كما حاولوا تحدي السيطرة البريطانية بصورة عملية من خلال إرسال سفنهم الحربية إلى موانئ الخليج ، لكنهم لم يحققوا نجاحاً يذكر في مساعيهم تلك أيضا [٨] .

وبعد نجاح ثورة تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٧ [٩] وقيام النظام السوفييتي[١٠]، لم يغفل السوفييت عن التطلع إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية ، وقد بقي الهدف واحداً وهو تحدي البريطانيين ، لكن الدافع اختلف هذه المرة ، فبعد أن كان استعمارياً في زمن القياصرة بات في العهد السوفييتي أيديولوجياً ، وذلك كجزء من المجابهة مع بريطانيا التي كان السوفييت يرون فيها عدوا أساسيا لنظامهم [١١] ، ووفقاً للتوجه الذي صاغ أسسه فلاديمير لينين[١٢] (Vladimir Lenin) ، فقد بدأ السوفييت يبحثون عن علاقات دبلوماسية وتحالفات مع القوى التي كانت واقعة تحت النفوذ البريطاني في المناطق الجنوبية الغربية للاتحاد السوفييتي ، بهدف تقديم الدعم لها ومحاولة إبعادها عن دائرة النفوذ البريطاني[١٣]، بغض النظر عن الطبيعة السياسية والاجتماعية للنظام الذي يحكم تلك البلدان [١٤] .

وتنفيذا لتلك السياسة فقد بدأ الاتحاد السوفييتي في الانفتاح نحو مملكة الحجاز ، التي كانت آنذاك تحت حكم الهاشميين ، منذ عام ١٩٢٢ فقد كتب غورغي تشيشيرين[١٥](Georgi Chicherin) وزير الخارجية السوفييتي آنذاك مذكرة في كانون الأول ١٩٢٢ ، أوضح فيها ضرورة أن يكون للاتحاد السوفييتي قنصلا في جدة ، فهي " **تقع بالقرب من مكة التي لا يسمح لغير المسلمين بالعيش فيها ، وجدة هي عاصمة مملكة الحجاز ولذلك فان قنصلنا سيكون في قلب العالم الإسلامي ... ومن ثم سيتمكن من متابعة معظم الحركات السياسية في العالم الإسلامي التي كانت بعيدة عن أنظارنا** "[١٦].

وقد سنحت الفرصة أمام السوفييت عندما توترت العلاقات بين البريطانيين و الملك الحسين بن علي ملك الحجاز ، وذلك حين أقدم الأخير على إعلان نفسه خليفة للمسلمين ، بعد أن ألغى مصطفى كمال أتاتورك منصب الخلافة العثمانية في الثالث من آذار ١٩٢٤ ، الأمر الذي أثار مخاوف البريطانيين ، خشية تأثير ذلك على ملايين المسلمين في مستعمراتهم ، وقد استغل السوفييت الفرصة ونجحوا في إقامة علاقات دبلوماسية مع مملكة الحجاز في التاسع من آب ١٩٢٤ [١٧].

عين الاتحاد السوفييتي كريم حكيموف (Karim Hakimov)[١٨] ، وهو احد دبلوماسييه المسلمين ، قنصلا عاما في مدينة جدة ، وقدم أوراق اعتماده إلى ملك الحجاز في التاسع من آب ١٩٢٤ ، بعد أن زوده وزير الخارجية تشيشيرين بتعليمات أكدت على ضرورة أن يولي اهتماما خاصا بمتابعة تحركات بريطانيا في هذه المنطقة[١٩]، وقد أصبحت البعثة الدبلوماسية التي رأسها حكيموف في الحجاز أول بعثة دبلوماسية سوفييتية رسمية في البلدان العربية [٢٠].

لكن مملكة الحجاز ما لبثت أن دخلت في العام نفسه في حرب مع سلطنة نجد المجاورة ، تحت زعامة عبد العزيز آل سعود ، الأمر الذي أصاب السوفييت بخيبة أمل ، عبر عنها تقرير لوزارة الخارجية السوفييتية في الثامن عشر من تشرين الأول ١٩٢٤ جاء فيه :- " **إن إقامة علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والحجاز ، تلك المملكة التي تقوم بدور مهم في السعي إلى إقامة دولة العرب الكبرى ، قد حصل قبيل إن تتعرض تلك المملكة إلى هجوم شديد من القبائل الوهابية البدائية التي يقودها ابن سعود المناوئ للعروبة** " [٢١] .

كان هذا التقييم يمثل التصور الأول للاتحاد السوفييتي عن الملك عبد العزيز ودولته ، وهو تقييم سلبي للغاية ، ولكن السوفييت سرعان ما غيروا موقفهم هذا بصورة جذرية ، فقد بعث تشيشيرين رسالة إلى حكيموف في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٢٤ إلى كريم حكيموف أكد فيها على ضرورة الحفاظ على علاقات الصداقة مع الحجاز ، وفي الوقت نفسه أمره بعدم تفويت أية فرصة للاتصال بعبد العزيز آل سعود بوصفه قوة جديدة صاعدة في الجزيرة العربية ، مشددا على إن مصالح الاتحاد السوفييتي تتمثل في

توحيد الأراضي العربية ، وان كانت هذه هي سياسة الملك عبد العزيز فان ذلك سيكون متطابقا مع المصالح السوفييتية ، وسيكون **"علينا محاولة التقارب معه كما فعلنا ذلك في علاقتنا بالحسين الذي حاول توحيد الجزيرة العربية "** (٢٢) .

دخلت القوات السعودية إلى مكة في أواخر عام ١٩٢٥(٢٣) ، وقد أظهرت هذه الخطوة مدى ضعف مملكة الحجاز ، فبعث تشيشيرين رسالة أخرى إلى حكيموف في السابع عشر من آذار ١٩٢٥ ، بين فيها تصوره بان أحداث الحجاز تقترب من نهايتها ، وان السياسة السوفييتية يجب أن تبنى بطريقة تمكن موسكو من الحفاظ على وجودها الدبلوماسي في الحجاز حيث الأراضي المقدسة ، وزوده بتعليمات بينت ضرورة تحقيق حالة من التوازن بين السعوديين والهاشميين ومد اليد للمنتصر منهم **"فإذا لم تستول قوات ابن سعود على جده سيكون علينا الاستمرار في تأدية دور أصدقاء الهاشميين ودعم العلاقات مع الحكومة الحجازية ، أما إذا أخذت الأحداث مجرى آخر ... فسيكون علينا آنذاك منح وجودكم في الحجاز وضعا آخر ، لابد من الاستفادة من كل إمكانية للحفاظ على قاعدة للوجود السوفييتي في شبه الجزيرة العربية"** (٢٤) .

وتنفيذا لتلك السياسة الجديدة ، نجح القنصل السوفييتي في جدة حكيموف في إجراء اتصالات مباشرة مع عبد العزيز آل سعود في نيسان ١٩٢٥ ، وعند سقوط جدة بيد السعوديين أواخر العام نفسه ، ابلغ عبد العزيز آل سعود القنصل السوفييتي حكيموف بامتنانه الكبير لما أبداه السوفييت من حياد أثناء الصراع مع الهاشميين(٢٥)، وقد بدأت الدعاية السوفييتية عندها تتحدث بإسهاب عن **"البرنامج الاجتماعي والسياسي المثير للإعجاب بصورة كبيرة للحركة الوهابية"** (٢٦)، وسارع السوفييت إلى إعلان تأييدهم له واعتبروه بمثابة **"رجل ثوري استطاع أن يوجه لطمة كبرى للسياسة البريطانية في الجزيرة العربية"** (٢٧) .

وبذلك خطى السوفييت الخطوة الأولى في طريق إقامة علاقات مع الدولة السعودية ، ولم يطل الوقت كثيرا حتى شهدت تلك العلاقات تطورا كبيرا كما سيتبين لاحقا .

العلاقات السوفييتية-السعودية

١٩٢٦-١٩٣٤

لقد دلل التغيير السريع في موقف الاتحاد السوفييتي تجاه الملك عبد العزيز على الرغبة في التعامل بواقعية مع تطورات الأحداث في الجزيرة العربية ، وهو الأمر الذي أثبتته التطورات اللاحقة ، إذ لم يمض وقت طويل حتى أعلن عبد العزيز آل سعود نفسه "ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد" في الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٦(٢٨)، وقد بادر الاتحاد السوفييتي إلى الاعتراف بالدولة الجديدة في السادس عشر من شباط ١٩٢٦ ، وذلك في رسالة وجهتها الحكومة السوفييتية إلى الملك عبد العزيز جاء فيها :- **" انطلاقاً من مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وتعبيرا عن الاحترام العميق لإرادة شعب الحجاز الذي بايعكم ملكا له ، تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بجلالتكم ملكا للحجاز وسلطانا لنجد وتوابعها . وبحكم ذلك تعتبر الحكومة السوفييتية نفسها في حالة علاقات دبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتكم "** (٢٩) .

وقد أعرب الملك عبد العزيز في مذكرته الجوابية عن عميق شكره للحكومة السوفييتية ، وأبدى الاستعداد التام لمعاملة الحكومة السوفييتية ورعاياها في مملكته بما يليق بالدولة الصديقة (٣٠) .

كان الاتحاد السوفييتي الدولة الكبرى الأولى التي تعترف بوضع الدولة السعودية الجديد(٣١) ، سابقا بذلك بريطانيا التي كانت صاحبة النفوذ التقليدي في المنطقة ، وقد كان السوفييت يأملون أن يكون الملك عبد العزيز قادراً على تأسيس دولة مستقلة وغير خاضعة للغرب ، وهذا من شانه إضعاف الهيمنة الغربية في تلك المنطقة ، وبالتالي تحقيق مكسب مهم للسياسة السوفييتية الخارجية(٣٢) .

افتتح السوفييت قنصلية لهم في مدينة جدة ، وتم تعيين كريم حكيموف ممثلا لحكومته فيها بدرجة قنصل(٣٣)، وذلك بفضل الخبرة التي اكتسبها في عمله السابق في مملكة الحجاز ، وعن طريقه كانت تنظم العلاقات بين الطرفين ، إذ لم تكن للدولة السعودية بعثة سياسية في موسكو(٣٤) .

عمل السوفييت على كسب الملك عبد العزيز واستمالته ، وقد تجلى ذلك بصورة واضحة أثناء المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك في حزيران ١٩٢٦ لكي يضفي المزيد من الشرعية على توليه ملك

الحجاز ، ووجه الدعوة أمراء وملوك وممثلي العالم الإسلامي للحضور إلى مكة ، وتعهد خلاله الملك عبد العزيز بأنه سيرعى الأماكن المقدسة ويعمل على تهيئة ظروف أفضل للحجاج[٣٥]، وقد حضر المؤتمر تسعة وستون مندوبا ، وخلال المؤتمر أبدى رئيس وفد مسلمي روسيا وتركستان المفتي رضا الدين سحر الدينوف (Mufti Rizauddin Sahreddinov) دعما للملك عبد العزيز ، وصرح في المؤتمر بان الملك عبد العزيز هو "حامي الحرمين الشريفين" [٣٦].

لقد سعى السوفييت إلى توطيد وجودهم في الدولة السعودية منذ ذلك الحين بصورة عملية ، فوصلت بعثتان تجاريتان سوفييتيتان إلى الحجاز بداية عام ١٩٢٧ ، كما أقيم معرض للمنتجات السوفييتية في مدينة جدة في العام نفسه [٣٧] .

كما نجح السوفييت أوائل عام ١٩٢٧ في افتتاح فرع بمدينة جدة لشركة (Sovtorgflot) ، وهي إحدى شركات النقل السوفييتية ، بهدف العمل على نقل الحجاج من آسيا الوسطى والهند وإيران إلى الأراضي المقدسة في الحجاز ، وقد واجهت تلك الشركة مصاعب جمة منذ البداية بسبب المنافسة الشرسة التي أبدتها الشركات البريطانية التي لم تسمح لها بالعمل في أي من المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني ، ولم تلبث أن أغلقت أبوابها في العام نفسه رغم المساعي الحثيثة التي بذلها القنصل الروسي حكيموف لإنجاحها [٣٨] .

ويبدو إن السوفييت أرادوا التعويض عن ذلك ، فأرسلوا في شهر تشرين الثاني ١٩٢٧ سفينة تجارية ضخمة محملة بكميات كبيرة من الطحين والسكر ، إلى مدينة جدة ، وقد عرضت البضاعة السوفييتية بأسعار اقل بكثير من الأسعار التي كان التجار يبيعون بها ، بل إن السوفييت حاولوا البيع بأي ثمن يمكن أن يحصلوا عليه مهما كان واطئا ، الأمر الذي أثار مناوشات بين التجار السوفييت ونظرائهم من تجار الحجاز والتجار البريطانيين والهنود ، وهو ما دفع بحاكم جدة إلى أن يقرر ، مدعوما من التجار المحليين ، مقاطعة البضائع السوفييتية ووضع العراقيل أمامها ، الأمر الذي أدى إلى أن تغادر السفينة السوفييتية موانئ جدة دون أن تتمكن من بيع أي شيء من حمولتها [٣٩].

فرض السعوديون بعد تلك الحادثة ضرائب عالية على البضائع السوفييتية جعلت من العمل التجاري السوفييتي في جدة مستحيلا من الناحية العملية ، ويرى البعض إن ذلك الإجراء كان يقصد به ما هو ابعد من حماية التجار المحليين ، إذ أراد السعوديون استرضاء البريطانيين ، الرافضين للوجود السوفييتي ، من خلال حماية تجارتهم من المنافسة السوفييتية [٤٠] .

ووفقا لما تقدم فقد كان التبادل التجاري بين الاتحاد السوفييتي والسعودية ضئيلا بالمقاييس التجارية ، إلا إن أهمية ذلك الاتصال الأساسية كانت نابعة من إن الدولة السعودية ، فضلا عن اليمن[٤١] ، هما البلدان العربيان الوحيدان اللذان كان للاتحاد السوفييتي حضور دبلوماسي رسمي فيهما خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين[٤٢] .

وعلى الرغم من الإجراءات السعودية ، فان وجود القنصلية السوفييتية ونشاطها في جدة أثار استياء البريطانيين الذين انتابهم القلق من الوجود السوفييتي الذي قد يؤدي إلى إضعاف نفوذهم في المملكة فحاولوا الضغط على الملك عبد العزيز للتضييق على عمل القنصلية وإغلاقها بحجة إن السوفييت يثيرون الدعايات ضد البريطانيين و"يلوثون" عقول الحجاج بالعقيدة الشيوعية ، إلا إن الحكومة السعودية نفت ذلك الأمر بشدة ، وأكدت عدم وجود أي نشاط شيوعي مشبوه بين الحجاج ، أو في أي مكان من المملكة[٤٣] .

توصل الملك عبد العزيز إلى قناعة مفادها إن الانكليز راغبون في وضع حد للوجود السوفييتي في مملكته ، وقرر بناءً على ذلك العمل على استغلال الورقة السوفييتية للحصول على مكاسب سياسية من الجانب البريطاني ، والمح في كانون الثاني ١٩٢٨ بأنه قد حصل على عروض اقتصادية مغرية من السوفييت ، وانه على استعداد للتخلي عنها مقابل الدعم البريطاني ، الذي يمكن أن يكون مرتبا سنويا[٤٤]، أو عقد معاهدة تجارية تكون لمصلحة الجانب السعودي [٤٥].

إلا إن الحكومة البريطانية لم تستجب لمطالب الملك عبد العزيز ، الأمر الذي دفعه إلى الموافقة على طلب سوفييتي برفع مستوى التمثيل الدبلوماسي السوفييتي من المستوى القنصلي إلى مستوى مفوضية في





بداية كانون الثاني ١٩٣٠ ، ووصل المفوض السوفييتي الجديد نظير توريا قولوف (Nazir Tiuriakulov) [٤٦] إلى جدة وقدم أوراق اعتماده إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز في السادس والعشرين من كانون الثاني من العام نفسه [٤٧] .

ترافق ذلك التطور الدبلوماسي مع حالة من الانفتاح السوفييتي الاقتصادي غير المسبوق تجاه الدولة السعودية ، فقد نجح المفوض السوفييتي نظير توريا قولوف في عقد صفقة نفطية مهمة تمثلت في الاتفاق على أن يزود السوفييت الجانب السعودي بكمية من المشتقات النفطية بقيمة قدرت بثلاثين ألف جنيه إسترليني ، على أن يتم دفع المستحقات المالية السوفييتية على أربعة أقساط متساوية ، وبمعدل قسط واحد لكل شهرين[٤٨] .

إلا إن الجانب السعودي لم ينجح في تسديد الأقساط المستحقة عليه إلى الجانب السوفييتي طوال العامين اللاحقين ، لكن الانفتاح السوفييتي تجاه المملكة لم يتأثر بذلك ، بل إن العلاقات شهدت تطورا كبيرا تمثل في زيارة الأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية السعودي إلى موسكو ، ففي الثاني والعشرين من آذار ١٩٣٢ ابلغ الجانب السعودي المفوضية السوفييتية بان الأمير فيصل سيجري جولة في عدد من الدول الصديقة ، وتم الاستعلام عن إمكانية استقباله في موسكو ضمن تلك الجولة [٤٩] .

وقد أبدى الجانب السوفييتي استعداده التام لاستقبال الأمير فيصل ، وذلك في رسالة بعثها سكرتير اللجنة التنفيذية المركزية السوفييتية ميخائيل كالينين[٥٠](Mikhail Kalinin) إلى الملك عبد العزيز في الخامس عشر من نيسان ١٩٣٢ ، وأبدى فيها سروره لاستقبال الأمير فيصل وعد الزيارة فرصة لتوطيد العلاقات السياسية المتبادلة ، وتصب في مصلحة البلدين [٥١] .

وصل الأمير فيصل إلى موسكو في أواخر شهر آيار ١٩٣٢[٥٢] ، وقد عدت تلك الزيارة قمة ما وصلت إليه العلاقات السوفييتية مع دولة عربية في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، والزيارة الأولى لمسؤول عربي بهذا المستوى إلى موسكو ، وكان ذلك انجازا للدبلوماسية السوفييتية [٥٣] .

كان من الواضح من خلال البرنامج الذي أعده السوفييت للأمير فيصل أنهم أرادوا إبهاره بمدى التطور الذي وصلته موسكو ، لاسيما في الجانب العسكري ، فنظمت له والوفد المرافق له جولات لزيارة المصانع العسكرية في ضواحي موسكو ، ومقر القيادة العسكرية للجيش الأحمر والأكاديمية الجوية الحربية ، حيث شهد استعراضا للطائرات المقاتلة [٥٤] .

ومما يجدر ذكره ، إن الملك عبد العزيز أراد من خلال إرسال نجله فيصل إلى موسكو تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية ، تمثلت برغبته في أن تتخلى الحكومة السوفييتية عن المطالبة بالأقساط المستحقة على الجانب السعودي ، وأن يتم السماح للحجاج السوفييت المسلمين بالوصول إلى الديار المقدسة في الحجاز ، للحصول على عوائد مالية تدعم خزينة الدولة السعودية التي كانت تعاني من الخواء[٥٥] ، وفي هذا السياق فقد تحدثت بعض المصادر عن محاولة سعودية للحصول على قرض من الحكومة السوفييتية بمقدار مليون جنيه إسترليني[٥٦]، وفضلا عما تقدم فان الملك عبد العزيز كان يهدف إلى تحقيق نوع من الضغط على البريطانيين والأمريكان لدفعهم إلى منحه المزيد من المساعدة والدعم ، وتقديم عروض أفضل له في المفاوضات التي كانت جارية معهم بشان الامتيازات النفطية السعودية ، من خلال البرهنة لهم بوضوح انه يمكنه اللجوء إلى البديل السوفييتي ، إذا ما هم تأخروا عن مساعدته[٥٧] ، لاسيما إن مملكته كانت تعاني من أزمة اقتصادية خانقة دفعته إلى البحث عن البدائل[٥٨] .

وعلى الرغم من إن الاتحاد السوفييتي كان من أوائل الدول الكبرى التي أعلنت اعترافها رسميا بخطوة الملك عبد العزيز في توحيد مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها في دولة موحدة تحت حكمه باسم "المملكة العربية السعودية" في الثامن عشر من أيلول ١٩٣٢[٥٩]، إلا إن موسكو لم تحسن انتهاز الفرصة لتوطيد المكاسب السياسية التي تحققت لها ، إذ لم يتم السماح للحجاج السوفييت بالتدفق إلى الحجاز خلال العام التالي ، وذلك في خطوة دللت على تغليب العامل العقائدي على العامل السياسي ، كما لم يتم إسقاط الديون عن الجانب السعودي[٦٠] ، ولم يتحقق كذلك القرض الذي كان الملك عبد العزيز يطمح إلى نيله[٦١]، وهناك من علل ذلك الإحجام إلى انهماك الحكومة السوفييتية في تنفيذ خطة التحديث الخمسية الثانية ، الأمر الذي استنفذ كل الموارد المالية التي يمكن تسخيرها لتوفير القرض الذي طلبه




الملك عبد العزيز(٦٢) ، إلا إن الأمر لم يكن متعلقا بقلة الموارد المالية السوفييتية بقدر ما كان متعلقا برغبتهم في الحصول على فوائد اقتصادية وسياسية مباشرة من وراء تلبية الطلبات السعودية ، فقد اشترط السوفييت على الجانب السعودي أن تفسح المجال أمام التجارة السوفييتية في أنحاء المملكة بدون فرض أية ضرائب ، على أن يكون القرض على شكل بضائع وليس نقدا كما يريد السعوديون ، وفضلا عما تقدم فقد اشترط السوفييت عقد معاهدتين الأولى تجارية ، والثانية معاهدة صداقة (٦٣) .

لم يوافق الملك عبد العزيز على الشروط السوفييتية رغم حاجته إلى الدعم الاقتصادي ، وذلك لخشيته من استثارة البريطانيين الذين ضغطوا عليه لمنعه من الذهاب بعيدا في علاقاته مع السوفييت(٦٤) ، وبعد مدة قصيرة تحسنت الأوضاع الاقتصادية للمملكة نتيجة دخول الشركات النفطية الأمريكية إلى المملكة العربية السعودية بعد حصولها على امتياز التنقيب عن النفط من الملك عبد العزيزعام ١٩٣٣ ، وحصوله على قروض من سخية من الأمريكيين دفعت له فور توقيع الامتياز(٦٥) .

مثلت تلك التطورات نهاية لمرحلة متميزة من العلاقات السوفييتية السعودية ، دخلت بعدها تلك العلاقات في مرحلة أخرى كانت سمتها التدهور نتيجة لعوامل عدة كما سيتبين لاحقا .

تدهور العلاقات السوفييتية ـ السعودية
وقطعها ١٩٣٤ ـ١٩٣٨

شهدت سياسة الاتحاد السوفييتي الدولية بصورة عامة ، وتجاه المملكة العربية السعودية بصورة خاصة ، تغييرا واضحا منذ عام ١٩٣٤ وذلك تحت وطأة العوامل الدولية التي بدأت تلقي بظلالها على الاتحاد السوفييتي والعالم ، وقد تمثلت تلك العوامل في تنامي الخطر الياباني في أقصى شرق آسيا ، وكذلك وصول الحزب النازي إلى سدة الحكم في ألمانيا في عام ١٩٣٣ ، الأمر الذي أدى إلى تغيير في السياسة السوفيتية التي تركزت منذ عام ١٩٣٤ على السعي إلى إقامة تحالفات دولية لمجابهة الأخطار المحتملة على الساحة الدولية (٦٦) .

ويبدو إن السوفييت لم يفقدوا الأمل حتى ذلك التاريخ في الحصول على مكاسب سياسية من الجانب السعودي ، فقد قدموا في عام ١٩٣٤ طلبا جديدا إلى المملكة العربية السعودية لتطوير العلاقات بين الطرفين لتكون على شكل معاهدة تحالف ، إلا إن الرياض رفضت ذلك الطلب ، الأمر الذي أدى إلى أن تسوء العلاقات بينهما(٦٧)، وتدخل في مرحلة من الركود وعدم النشاط .

أعيد كريم حكيموف إلى المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٥ ليكون وزيرا مفوضا للاتحاد السوفييتي في جده بدلا عن نظير تورياكولوف ، ويبدو إن نشاط المفوضية السوفييتية كان ضئيلا جدا خلال ذلك العام ، حتى إن الحكومة السوفييتية قد سحبت "الوكيل العام لتجارة الاتحاد السوفييتي" من جدة بعد أن وُجد بان بقائه غير مجد ، كما إن حكيموف نفسه كان يتوقع أن تقدم الحكومة السوفييتية على إلغاء البعثة الدبلوماسية السوفييتية في جدة في أي وقت من الأوقات (٦٨) .

كانت مهمة حكيموف بعد إعادته إلى جدة تتلخص في هدف واحد وهو تحصيل الدين السوفييتي المستحق على الجانب السعودي من صفقة المشتقات النفطية آنفة الذكر، لذلك كثف من اتصالاته بالمسؤولين السعوديين طوال عام ١٩٣٦ للحصول على الدين أو جزء منه على الأقل ، ولم يتكلل سعيه بالنجاح إلا في أوائل عام ١٩٣٧ حين توصل إلى اتفاق مع الجانب السعودي على تسديد الدين على شكل دفعات شهرية لمدة ١٢ شهرا تدفع بموجب حوالات على بنك مصر(٦٩) .

قرر جوزيف ستالين(٧٠) (Joseph Stalin) استدعاء كريم حكيموف في السادس من أيلول عام ١٩٣٧ ، اثر وشاية تقدم بها احد موظفي البعثة الدبلوماسية السوفييتية في جدة ، اتهم فيها حكيموف بالنشاط المشبوه والتجسس لحساب دول أجنبية(٧١)، ويبدو إن الملك عبد العزيز كان مدركا إن هذا الاستدعاء ستكون نتيجته إعدام حكيموف(٧٢)، فعرض عليه منحه اللجوء السياسي والبقاء في جده إلا إنه رفض ذلك العرض وقرر الذهاب إلى موسكو(٧٣)، حيث قدم إلى المحاكمة بصورة فورية وحوكم على انه "عدو الشعب" ، وحكم عليه بالإعدام(٧٤) ، وتم تنفيذ الحكم رميا بالرصاص في العاشر من كانون الثاني عام ١٩٣٨(٧٥) .

أثار إعدام حكيموف استياء الملك عبد العزيز ، الذي أبدى احتجاجه على قرار إعدامه[٧٦] ، إلا إن ستالين لم يأبه باحتجاج الملك عبد العزيز ، بل قرر إغلاق السفارة السوفييتية في جدة بشكل نهائي في الثالث عشر من نيسان ١٩٣٨[٧٧]، ليطوي بذلك صفحة كانت الأكثر تطورا على صعيد العلاقات بين الطرفين حتى أواخر القرن العشرين[٧٨] .

كان قرار قطع العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية يتعدى مسالة إعدام حكيموف ، وهناك من أشار إلى إن ستالين أقدم على قطع العلاقات السياسية مع المملكة العربية السعودية نتيجةً لصعوبات مالية واقتصادية كانت موسكو تعاني منها [٧٩]، إلا إن ذلك الرأي يبدو مستبعدا ، إذ لا يمكن أن تكون الصعوبات المالية سببا كافيا في أن تفرط قوة عظمى في موقع سياسي عملت طويلا على ترسيخه ، لاسيما إن كان هذا الموقع مهما من الناحية الإستراتيجية كالمملكة العربية السعودية ، كما إن الوجود السوفييتي في المملكة العربية السعودية كان سياسيا وليس عسكريا لتكون نفقاته باهظة .

يمكن القول إن قرار قطع العلاقات السياسية كان تحصيل حاصلٍ ، خاصة بعد فتور تلك العلاقات منذ أواسط الثلاثينيات كما لاحظنا آنفا [٨٠]، ويبدو إن هذا الفتور كان سببا كافيا لدفع الساسة السوفييت إلى التشكيك في جدوى التقارب مع المملكة العربية السعودية ، والبدء بمراجعة سياستهم تجاهها ، خاصة في ضوء تنامي التوتر في أوربا والحاجة إلى تحسين العلاقات مع بريطانيا [٨١]، وقد تعزز ذلك التوجه عندما أخذت موسكو تنظر إلى دول المنطقة العربية على أنها تتصف بالتخلف والتأخر الاجتماعي ، وبأنها ممالك وإمارات إقطاعية وثيقة الارتباط بالاستعمار الغربي ، وبالتالي فان تلك الدول صنفت على أنها دول رجعية ومتخلفة ، وان وضعا كهذا وفق القناعة السوفييتية لا يسمح بالتوغل إيديولوجياً[٨٢]، وقد غدت تلك النظرة أكثر واقعية من وجهة النظر السوفييتية مع تنامي المصالح النفطية الأمريكية في المملكة العربية السعودية[٨٣]، والتي مهدت إلى أن يعتبرها السوفييت منطقة نفوذ أمريكية نظرا لتنامي دور الشركات النفطية الأمريكية فيها [٨٤] .

ومن جانبها فقد لعبت الدول الغربية ، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وشركاتها النفطية ، دورا مهما في بث الدعاية المعادية للاتحاد السوفييتي ، تلك الدعاية التي اعتمدت على الاعتبارات الدينية لمواجهة النفوذ السوفييتي ، وذلك عن طريق التركيز على عناصر التناقض بين العقيدة الماركسية التي ينتهجها السوفييت ومبادئ الدين الإسلامي والعادات والتقاليد العربية[٨٥] ، وقد تكلل جهدها بالنجاح فخفت إلى حد كبير درجة الاهتمام السعودي بالعلاقة مع موسكو[٨٦]، وللاعتبارات المتقدمة أخذت موسكو تنظر إلى التقارب مع المملكة العربية السعودية على انه مهمة غير واقعية وغير مجدية ، ولم يحضَ الأمر تبعا لذلك بالأولوية [٨٧] ، فكان قرار قطع العلاقات الذي اتخذه ستالين قرارا مبنيا على اعتبارات سياسية بحته ، وليس على أساس الصعوبات المالية .

الخاتمة

يمكن القول إن العلاقات السوفييتية ـ السعودية ١٩٢٦ – ١٩٣٨ كانت تمثل أنموذجا في الواقعية السياسية ، بين نظامين سياسيين مختلفين يقعان على طرفي النقيض في توصيفهما السياسي ، فالاتحاد السوفييتي كان يرى في علاقاته مع المملكة العربية السعودية فرصة مناسبة لمزاحمة النفوذ البريطاني الغربي في المنطقة العربية ، لذلك كان الدولة الأولى التي تعترف بالسيطرة السعودية على الحجاز وفي إقامة العلاقات السياسية مع الدولة الموحدة الجديدة ، في حين إن الملك عبد العزيز وجد في الاتحاد السوفييتي قوة عظمى يمكن استغلالها كورقة ضغط للحصول على المزيد من الدعم الغربي .

ابتدأت العلاقات السوفييتية ـ السعودية بصورة ودية ، ولم يتأخر السوفييت في تقديم الدعم للملك عبد العزيز آل سعود رغبة منهم في كسبه إلى صفهم ، إلا إن هذا المسعى سرعان ما اثبت فشله لاسيما بعد أن توصل السوفييت إلى قناعة مفادها عدم جدوى العلاقات مع المملكة العربية السعودية ، خاصة وإن أي منفعة اقتصادية أو سياسية لم يجنها السوفييت من وراء تلك العلاقات طوال مدتها ، بل كان العكس هو الصحيح ، إذ رغبت المملكة العربية السعودية في تحقيق مكاسب اقتصادية من الجانب السوفييتي دون تقديم الثمن السياسي المناسب ، والذي كان من وجهة نظر السوفييت يتمثل في عقد معاهدات تحالف أو صداقة ، أو معاهدة تجارية على اقل تقدير .





وكما كان الاتحاد السوفييتي هو المبادر إلى إقامة العلاقات السياسية مع المملكة العربية السعودية ، فان قرار قطع تلك العلاقات كان بقرار منه أيضا ، في ضوء عدم تمكنه من اختراق النفوذ الغربي في المملكة الذي أضحى أقوى وأوثق بعد اكتشاف النفط في أراضيها وتنامي المصالح الأمريكية التي شكلت منافسا أقوى للسوفييت من البريطانيين ، الأمر الذي جعل ستالين يقرر قطع تلك العلاقات وطي صفحتها عام ١٩٣٨ ، بعد أن وجد إن التقارب مع السعودية لا يشكل أهمية للاتحاد السوفييتي ، خاصة في ظل تنامي خطر الحرب في أوربا بعد وصول النازيين إلى سدة الحكم في ألمانيا ، وتنامي الحاجة إلى التحالف مع القوى الغربية لمواجهة النازيين ، وكانت المفارقة إن الواقعية السياسية التي كانت سببا في بداية العلاقات السوفييتية ـ السعودية ، كانت هي أيضا سببا في إنهائها ، ولم تعد الدعاية السوفييتية تتحدث عن "البرنامج الاجتماعي والسياسي المثير للإعجاب بصورة كبيرة للحركة الوهابية" ، بل غدت تتحدث عن نظام الحكم في السعودية بوصفه نظاماً إقطاعياً متخلفاً رجعياً ووثيق الارتباط بالغرب ، لتعطي بذلك ختاماً عدائياً لعلاقات كانت بداياتها قوية .

الهوامش والمصادر

(1) غانم محمد صالح ، روسيا والخليج العربي ، بحث منشور ضمن كتاب : العرب والقوى العظمى ، العرب وروسيا ، بغداد ، ١٩٩٨ ، ص٨١-٨١ . وللمزيد من التفاصيل حول سياسة روسيا القيصرية تجاه الجزيرة العربية ينظر: جمال محمود حجر ، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص٩٩-١٠٥ ؛ عباس ياسر الزبيدي ، القوى الاستعمارية والخليج العربي ، المؤرخ العربي ، "مجلة" ، العدد ١٢ ، السنة ١٩٨٠ ، ص٤٣١-٤٣٢ .

(2) كانت بريطانيا قد أحكمت سيطرتها على الخليج العربي بصورة مطلقة منذ نجاح حملتها على القواسم وفرضها معاهدة السلم عام ١٨٢٠ ، التي سلم شيوخ القواسم وإمارات الساحل العربي الآخرون بموجبها بسيادة بريطانيا على سواحل الخليج العربي . ينظر :- جون ب. كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٧٠ ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، عمان ، ١٩٧٩ ، ج١ ، ص٢٣١-٢٧٦ . وقد نجحت بريطانيا في السنوات ١٨٨٠-١٩١٦ في فرض معاهدات الحماية على شيوخ الخليج العربي ، والتي بموجبها أصبحت مسؤولة عن علاقاتهم الخارجية وأبقت لهم تسيير شؤونهم الداخلية . ينظر :- حسين محمد البحارنة ، دول الخليج العربي الحديثة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٣٦_٣٧ .

(3) للمزيد من التفاصيل عن سياسة روسيا القيصرية تجاه المشرق العربي في القرن التاسع عشر ينظر :- خيرية قاسمية ، روسيا القيصرية والمشرق العربي ، دراسات تاريخية ، "مجلة" ، جامعة دمشق ، العددان التاسع والعاشر ، تشرين الأول ١٩٨٢ ، ص٤٠-٦٠ .

(4) ج. ج. لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، قطر ، ج١ ، ص٥٢٢-٥٣٩ .

(5) الشيخ مبارك الصباح : ولد في عام ١٨٤٤ ، وتولى الحكم في عام ١٨٩٦ بعد إقدامه على قتل أخيه الحاكم الشيخ محمد الصباح ، كان صلب الإرادة وطموحا إلى نشر سلطانه ونفوذه على المناطق المجاورة ، وقد اشتهر بالتقلب وعدم الثبات في سياسته الخارجية ، وقد طلب من البريطانيين أن يوقعوا معه معاهدة حماية فور توليه الحكم إلا إن بريطانيا لم توافق بسبب علاقة الكويت الخاصة بالباب العالي ، ولكن بريطانيا سرعان ما عادت لتوافق بسبب المحاولات التي كان يعدها الروس ووقعت معه معاهدة حماية في ٢١ كانون الثاني ١٨٩٩ ، وقد استمر حكمه حتى عام ١٩١٥ . للتفاصيل ينظر جون ب. كيلي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٧٦٥ ؛ محمد حسن العيدروس ، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر ، دار الكتاب الحديث ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٧ .

(6) Andrej Kreutz , Russia in the Middle East : friend or foe , first published , U.S.A. , 2007 , p.123 .

(7) لوريمر ،المصدر السابق ، ص٥٧٥ .

(8) Andrej Kreutz , op. cit. p.123 .

(9) ثورة تشرين الأول – أكتوبر ١٩١٧ في روسيا : هي أول ثورة اشتراكية منتصرة في تاريخ العالم ، قامت بها الطبقة العاملة الروسية متحالفة مع الفلاحين والجنود الروس الفقراء ، وبفضلها تمت الإطاحة بسلطة تحالف البرجوازية مع كبار الملاك في روسيا ، وعلى أنقاض هذه السلطة أقيمت دكتاتورية الطبقة العاملة . عبد الوهاب





الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ج١ ،ص٧٨٨ . وللمزيد من التفاصيل عن ثورة تشرين الأول- أكتوبر ينظر :- اسحق مينتس ، كيف حدثت ثورة أكتوبر ، موسكو ، ١٩٨٧ .

[10] سوفييت(SOVIET) كلمة روسية معناها "مجلس" ولقد شاعت لأول مرة بعد ثورة تشرين الأول الاشتراكية عندما تكونت سلطة الثورة على أساس قاعدة ديمقراطية تتألف من مجالس العمال والفلاحين والجنود ، عقدت هذه المجالس أو السوفييتات أول مؤتمر لها في ايار ١٩١٧ حيث طالبت باشتراك السوفييتات في الحكومة ، وبعد نجاح ثورة تشرين الأول أصبحت كلمة سوفييت علما على أسلوب من أساليب الديمقراطية الاشتراكية . ينظر:- إبراهيم عامر وآخرون ، موسوعة الهلال الاشتراكية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٢٩١-٢٩٢ .

[11] Aryeh Yodfat , The Soviet Union and the Arabian Peninsula , printed in Great Britain , 1983 , p. 1 .

ومما يجدر ذكره إن بريطانيا قد ناصبت النظام السوفييتي العداء منذ قيام ثورة تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٧ ، نتيجة لعزم النظام السوفييتي الانسحاب من الحرب العالمية الأولى والتفاوض مع الألمان ، وقد أرسلت بريطانيا أسطولها الحربي وسيطرت على عدد من الموانئ السوفييتية الشمالية ، كما سيطرت على مناطق في القوقاز وأحكمت سيطرتها على باكو لاتخاذها قاعدة للعناصر المعادية للحكومة السوفييتية . للتفاصيل ينظر :- رياض الصمد ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ج١ ، ص٧٢ ؛

Ellsworth Raymond , The Soviet State , 3ed edition , New York , 1971 ,p.99 .

[12] فلاديمير اليتش لينين (١٨٧٠-١٩٢٤) ولد في مدينة سيمبرسك الروسية ، قائد الثورة السوفييتية النظري والعملي ومؤسس الاتحاد السوفييتي ، أضاف إلى النظرية الماركسية دراسات مهمة عن الاحتكار والاستعمار والقومية والتحالف بين العمال والفلاحين حتى أصبحت النظرية الماركسية من بعده تسمى الماركسية اللينينية ، كان منظرا من الطراز الأول ، اشترك في ثورة ١٩٠٥ واضطر بعد فشلها إلى مغادرة روسيا وظل يعمل على نشر مجموعة من الكتب الماركسية الثورية ، عاد إلى روسيا بعد ثورة شباط ١٩١٧ ، وعمل على قيادة ثورة البروليتاريا في تشرين الأول ١٩١٧ تحت شعار (كل السلطة للسوفييت) ، أسس الاتحاد السوفييتي وقاده في أحلك ظروف الحصار الدولي والحرب الأهلية ، توفي في عام ١٩٢٤ بسبب الإجهاد الشديد على أرجح التقديرات . للتفاصيل ينظر :- عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، المصدر السابق ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج٥ ، ص٦٠٣- ٦٠٦ .

[13] Mark N. Katz , Post-Soviet Russian Foreign Policy Toward The Middle East , The Soviet and Post Soviet Review , Vol.23 . No.2 , 1996 , P.230-231 .

[14] John Baldry , Soviet Relations with Saudi Arabia and the Yemen 1917-1938 , Middle Eastern Studies , Vol.20 Issue 1 , 1984 , p.53 .

[15] غورغي تشيشيرين (١٨٧٢-١٩٣٦) : احد كبار دبلوماسيي الاتحاد السوفييتي ، عمل في وزارة الخارجية الروسية منذ عام ١٨٩٦ ، لكنه هاجر إلى برلين عام ١٩٠٤ ، كان في بداية حياته السياسية من المناشفة ونداً شرسا للينين ، ولكنه قطع علاقته بهم عام ١٩١٢ وانتسب عام ١٩١٨ للحزب البولشفي وعين في العام نفسه في مفوضية الشعب للشؤون الخارجية (وزارة الخارجية السوفييتية) خلفا لتروتسكي ، اقترن اسمه بكل الجهد الدبلوماسي الخارجي السوفييتي حتى تم عزله عام ١٩٣٠ . للمزيد من للتفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٤٨ .

[16] فاديم كوزمين ، صفحات من نشاط حكيموف السياسي ، الدارة "مجلة" ، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز ، العدد ٢ ، سنة ١٤٣٣ هـ ، ص٢ .(الترقيم من وضع الباحث) والبحث منشور على الموقع الالكتروني للمجلة :-
http://aldarahmagazine.com/showcontents.php?BRc=1544&_text

[17] Andrej Kreutz , Russia and the Arabian Peninsula , Journal of Military and Strategic Studies , Canadian Defence and Foreign Affairs Institute , Vol. 7 , Issue 2 , Winter 2004 , p. 5 .

[18] كريم حكيموف :- ولد عام ١٨٩٢ في بشكيريا الروسية لأسرة مسلمة فقيرة ، عمل في مختلف المهن ليوفر المال لتغطية نفقات دراسته ، أتقن عدة لغات منها العربية والتركية فضلا عن الروسية ، شارك في الحرب الأهلية في روسيا كزعيم بلشفي وساهم في تشكيل الفرقة المسلمة للجيش الأحمر ، وكان عضوا في اللجنة الحزبية الثورية الإسلامية ، عمل وزيرا للتعليم الشعبي في تركستان و سكرتيرا للحزب الشيوعي هناك ، كان أول ممثل دبلوماسي سوفييتي في الحجاز ، وأول ممثل دبلوماسي سوفييتي لدى المملكة السعودية وقد نال حظوة لدى الملك عبد العزيز آل سعود وكان يلقب في بلاطه بـ"الباشا الأحمر" ، أعدمه ستالين في عام ١٩٣٨ . للتفاصيل ينظر :- فاديم كوزمين ، المصدر السابق ، ص١-٥ ؛





Norihiro Naganawa , The Red Sea Becoming Red , The Bolsheviks' Commercial Enterprise in the Hijaz and Yemen 1924-1938 , Slavic Research Center, Hokkaido University , p.9-10 , cited in :-
http://src-h.slav.hokudai.ac.jp/jcrees/2013Osaka/71Naganawa.pdf
(19) فاديم كوزمين ، المصدر السابق ، ص٢.
(20) المصدر نفسه ،ص٢ .
(21) Andrej Kreutz , Russia in the Middle East, op. cit. p. 5 .
(22) فاديم كوزمين ، المصدر السابق ، ص٣ .
(23) الكسي فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن العشرين ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص٣٤٢ .
(24) فاديم كوزمين ، المصدر السابق ، ص٣ .
(25) Norihiro Naganawa , op. cit. p.11 .
(26) Andrej Kreutz , Russia and the Arabian Peninsula , op. cit. p.6 .
(27) عبد القادر محمد فهمي ، الخليج العربي في المنظور الستراتيجي السوفيتي ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والسياسية ، كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، المجلد الخامس ، العددان الأول والثاني ، ١٩٨٦ ، ص٣١١ .
(28) Joseph Kostiner , The Making of Saudi Arabia 1916 – 1936 : From Chieftaincy to Monarchical State , Oxford university press , 1993 , p.104 .
(29) Andrej Kreutz , Russia in the middle east , op. cit. p. 124 .
وللاطلاع على نص الرسالة السوفييتية ينظر :- اسكندر احمدوف "إعداد" ، الاتحاد السوفييتي والعالم العربي : مجموعة من الوثائق السياسية ، ترجمة خيري الضامن ، موسكو ، ١٩٧٨ ، ص٢٩ .
(30) الكسي فاسيلييف ، المصدر السابق ، ص٣٤٧ .
(31) Martin Harrison , Saudi Arabia Foreign Policy : relations with the superpowers , University of Durham , Center for Middle Eastern and Islamic Studies , Occasional Paper No. 46 , February 1995 , p. 24 .
(32) Andrej Kreutz , Russia in the middle east , op. cit. p. 124 ;
صالح بن محمد الخثلان ، العلاقات السعودية – الروسية علاقات نوعية أم شراكة إستراتيجية ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ٣٤ ، ربيع سنة ٢٠١٢ ، ص٩٢ .
(33) Norihiro Naganawa , op. cit. p.11 .
(34) فيتالي ناؤومكين ، ندوة العلاقات السعودية – الروسية : الفيصل في روسيا ، الشرق الأوسط "صحيفة" ، الخميس ١٧ شعبان ١٤٢٣ ، الموافق ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٢ ، العدد ٨٧٣١ .
(35) الكسي فاسيلييف ، المصدر السابق ، ص ٣٤٩
(36) Mohammad Zaid AL-Kahtani , The Foreign Policy of King Abdulaziz 1927-1953 : A Study in the International Relations of an Emerging State , Submitted in accordance with the requirements for the degree of doctor of philosophy , Department of Arabic and Middle Eastern Studies , University of Leeds , October 2004 , p. 174 ;
الكسي فاسيلييف ، المصدر السابق ، ص٣٤٩ .
(37) ممدوح محمود منصور ، الصراع الأمريكي – السوفييتي في الشرق الأوسط ، القاهرة ، د.ت. ، ص٩١-٩٢ ؛
Aryeh Yodfat , op. cit. p.1
(38) Norihiro Naganawa , op. cit. p.23-25
(39) Ibid. p. 29 .
(40) Ibid, p.29-30 .
(41) نجح الاتحاد السوفييتي في إقامة علاقات دبلوماسية مع اليمن في عام ١٩٢٨ ووقع معه اتفاقية في الأول من تشرين الثاني من العام نفسه عرفت بـ "اتفاقية الصداقة والتجارة بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية واليمن" ، وشهدت العلاقات بين البلدين تطورا متميزا خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين قبل أن تقطع عام ١٩٣٨ . للتفاصيل ينظر :-
Andrej Kreutz , Russia in the middle east , op. cit. p. 124-125 ; John Baldry , op. cit. p. 54-80 .





وللاطلاع على نص المعاهدة السوفييتية ـ اليمنية ينظر :- اسكندر احمدوف ، المصدر السابق ، ص٢٩-٣٢ .

(42) Yaacov Roi , From Encroachment To Involvement : a Documentary Study of Soviet Policy in Middle East , printed in Israel , 1974 , p. 146 .

(43) ملف العلاقات السعودية الروسية وارث الحجاز المحتل (القسم الأول) ، ص١-٢ (الترقيم من الباحث) ، البحث منشور على موقع الحجاز الالكتروني :-

http://www.alhejazi.net/tarekh/091102.htm

(44) كانت بريطانيا تدفع راتبا سنويا لعبد العزيز آل سعود حتى عام ١٩٢٤ ، ينظر :-

Mohammad Zaid AL-Kahtani , op. cit. p. 37-38 .

(45) ملف العلاقات السعودية الروسية ، المصدر السابق ، ص٢.

(46) نظير توریاقولوف :- ولد في كازاخستان عام ١٨٩٢ من أسرة مسلمة غنية الأمر الذي مكنه من مواصلة دراسته والحصول على شهادة جامعية من كلية الاقتصاد ، بدا نشاطه السياسية عام ١٩١٦ ثم انتمى بعد عامين إلى الحزب الشيوعي حيث تدرج سريعا في المناصب ليرقى عام ١٩٢٠ ليكون سكرتيرا للجنة المركزية للحزب في تركستان بين عامي ١٩٢٠ ـ١٩٢١ ، ثم عضوا في مكتب آسيا الوسطى للحزب بين عامي ١٩٢١-١٩٢٢ ، ثم انتقل إلى موسكو ليعمل رئيسا للجنة خاصة بتحويل الكتابة للشعوب الناطقة باللغات التركية إلى الأبجدية اللاتينية ، قبل أن يعين وزيرا مفوضا للاتحاد السوفييتي في السعودية ، أعدمه ستالين في عام ١٩٣٧ أثناء حملات التطهير التي قادها في ثلاثينيات القرن العشرين . للتفاصيل ينظر :-

Norihiro Naganawa , op. cit. p. 10 ;

الشرق الأوسط ، "صحيفة" ، الأحد ٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ، ٢٠٠٢ ، العدد ٨٧٤١ .

(47) ملف العلاقات السعودية الروسية وارث الحجاز المحتل (القسم الثاني) ، ص٢ (الترقيم من الباحث) ،البحث منشور على موقع الحجاز الالكتروني :-

http://www.alhejazi.net/tarekh/091201.htm

(48) المصدر نفسه ، ص٣-٤ .

(49) فيتالي ناؤمكين ، المصدر السابق .

(50) ميخائيل كالينين (١٨٧٥ – ١٩٤٦) :- احد العقول البارزة في التخطيط الثوري الروسي ، نشأ في أسرة فقيرة واشتغل صانعا عام ١٨٩٣ ، انضم إلى حركة الديمقراطيين الاشتراكيين عام ١٨٩٨ ، ونفي على اثرها إلى سيبيريا ، وبعد ثورة تشرين الأول البلشفية عاد إلى روسيا ليصبح رئيس اللجنة المركزية لاتحاد الجمهوريات السوفييتية حتى وفاته عام ١٩٤٦ . للتفاصيل ينظر :- عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، المصدر السابق ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج٥ ، ص٥١ .

(51) فيتالي ناؤمكين ، المصدر السابق .

(52) صالح بن محمد الخثلان ، المصدر السابق ، ص ٩٣ ؛

Mohammad Zaid AL-Kahtani , op. cit. p. 175 .

(53) Andrej Kreutz , Russia in the middle east , op. cit. p.125 .

(54) فيتالي ناؤومكين ، المصدر السابق .

(55) كانت عائدات الحج تمثل في ذلك الوقت المصدر الأكبر للدخل السعودي ، وكان السعوديون يطمحون إلى أن يسمح السوفييت لأكبر عدد من مسلمي الاتحاد السوفيتي بالحج لزيادة الدخل السعودي . ينظر :-

Abdulrahman A. Hussein , So History Doesn't Forget : Alliances Behavior in Foreign Policy of Saudi Arabia 1979 – 1990 , U.S.A. 2012 , p. 129 .

فيتالي ناؤومكين ، المصدر السابق .

(56) Gred Nonneman , Saudi – European Relations 1902 - 2001 , a Pragmatic quest for relative autonomy , International Affairs , Vol. 77 , Issue 3 , July 2001 , p.642.

(57) Andrej Kreutz , Russia and the Arabian Peninsula , op. cit. p.7-8 .

ومن الجدير بالذكر إن الملك عبد العزيز كان خلال عامي ١٩٣٢-١٩٣٣ يجري مفاوضات مكثفة مع الشركات النفطية البريطانية والأمريكية لغرض منحها امتيازا للتنقيب عن النفط في السعودية ، وقد نجح الشركات النفطية الأمريكية أخيرا في الحصول على الامتياز النفطي السعودي وفتحت بذلك الباب وسعا أمام النفوذ الأمريكي في المملكة . للتفاصيل ينظر :- طالب محمد وهيم ، التنافس البريطاني الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه ١٩٢٨-١٩٣٩ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص١٥٣-١٩٠ ؛

Josh Pollack , Saudi Arabia And The United States , 1931-2002 , Middle East Review of International Affairs, Vol. 6, No. 3 (September, 2002) , p.78 .





(58) Gred Nonneman , op. cit. p. 642 .
(59) Ibid , 642 .
ومما يجدر ذكره إن الاسم الجديد للمملكة كان يعني التوحيد النظري للمناطق التي كانت قد توحدت فعليا بالقوة تحت سلطة الملك عبد العزيز ، كما أنهت تلك الخطوة الحكم الذاتي الاسمي الذي كانت تتمتع به بعض مناطق المملكة كالحجاز والإحساء ، فاستبدلت الأسماء التاريخية القديمة لتلك المناطق بأسماء جغرافية ، فأصبحت الإحساء تسمى المنطقة الشرقية والحجاز المنطقة الغربية . للتفاصيل ينظر :- غسان سلامة ، السلطة السياسية والدولة السعودية ، بحث منشور ضمن كتاب الشرق الأوسط الحديث ، بإشراف ألبرت حوراني وفيليب خوري وماري ويلسون ، ترجمة اسعد صقر ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٧ ، ج٤ ، ص ٣٨-٣٩ .
(60) فيتالي ناؤومكين ، المصدر السابق .
(61) Gred Nonneman , op. cit. p. 642 .
(62) فيتالي ناؤومكين ، المصدر السابق .
(63) ملف العلاقات السعودية الروسية ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص٥ .
(64) Martin Harrison , op. cit. p.24 .
(65) طالب محمد وهيم ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .
(66) إسماعيل صبري مقلد ، السياسة السوفييتية والدول الافروأسيوية ، السياسة الدولية "مجلة" ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد الثاني ، أكتوبر نوفمبر ديسمبر ١٩٦٥ ، ص١٨ .
(67) Abdulrahman A. Hussein , op. cit. p. 129 .
(68) ملف العلاقات السعودية الروسية ، المصدر السابق ، ص٦
(69) المصدر نفسه ، ص٦
(70) جوزيف ستالين (١٨٧٩-١٩٥٣) اسمه الحقيقي يوسيف نوفيتش دجوغاشفيلي ، واشتهر باسمه المستعار "ستالين" ومعناه الرجل الحديدي ، وهو زعيم شيوعي بارز ورجل دولة سوفييتي حكم الاتحاد السوفييتي حكما مطلقا من ١٩٢٨ الى ١٩٥٣ ، نشأ في ظل لينين واستلم قيادة الحزب والدولة من بعده ففتك بمعارضيه ، ودعم اسس الدولة السوفييتية وفق نظرية الاشتراكية في بلد واحد ، قاد بلاده نحو الانتصار في الحرب العالمية الثانية ، وتحول الاتحاد السوفييتي في عهده الى احدى اقوى دولتين في العالم . للمزيد ينظر :- عبد الوهاب الكيالي واخرون،المصدر السابق ، ص١٣٧-١٣٩
(71) فاديم كوزمين ، المصدر السابق ، ص٥ .
(72) كان الإعدام مصيرا لنظير تورياقولوف في تموز ١٩٣٧ ، لذلك فان مخاوف الملك عبد العزيز تبدو مبررة . ينظر http://arabic.rt.com/info/68416/
(73) Ibid.
(74) فاديم كوزمين ، المصدر السابق ، ص٥ .
(75) http://arabic.rt.com/info/68416/
76) Ibid
(77) Andrej Kreutz , Russia and the Arabian Peninsula , op. cit. p. 8 .
(78) بقيت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية أكثر من نصف قرن ، ولم تعد حتى عام ١٩٩٠ نتيجة لموقف الاتحاد السوفييتي الداعم لجهود إخراج القوات العراق من الكويت ، ينظر :-
Talal Nizameddin , Russia and the Middle East : Towards a new foreign policy , United Kingdom , 1999 , p. 190 .
(79) Abdulrahman A. Hussein , op. cit. p. 129 .
(80) مر بنا أثناء البحث إن حكيموف كان يتوقع إلغاء البعثة السوفييتية في جدة منذ عام ١٩٣٥ لعدم جدواها .
(81) Norihiro Naganawa , op. cit. p.33 ; Andrej Kreutz , Russia and the Arabian Peninsula , op. cit. p.9-10
(82) عبد القادر محمد فهمي ، المصدر السابق ، ص٣١٣ .
(83) عن تطور السياسة الأمريكية تجاه المملكة العربية السعودية وعلاقة ذلك التطور بالنفط ينظر :- محمد النيرب ، اصول العلاقات السعودية الأمريكية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص١٢١-١٢٩ ؛ خليل علي مراد ، تطور السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي ١٩٤١-١٩٤٧ ، البصرة ، ١٩٨٠ ، ص١٥٢-١٧٠ .
(84) عبد القادر محمد فهمي ، المصدر السابق ، ص٣١٣ .
(85) عبد القادر محمد فهمي ، روسيا الاتحادية والوطن العربي : دراسة مقارنة للسلوك السوفييتي – الروسي تجاه الوطن العربي ، بحث منشور ضمن كتاب ، العرب والقوى العظمى ، المصدر السابق ، ص٢١ .





(86) فيتالي ناؤومكين ، المصدر السابق . ومن الجدير بالذكر إن المملكة العربية السعودية انتهجت منذ الحرب العالمية الثانية سياسة معادية للاتحاد السوفييتي ، وقد تنامت تلك السياسة العدائية بعدها ، حتى إن الملك عبد العزيز قد صرح خلال محادثات مع احد المسؤولين البريطانيين في الرياض في الثاني عشر من نيسان ١٩٤٧ ، انه يدرك إن الشيوعية تمثل خطرا على منطقة الشرق الأوسط ، وان الشيوعية تنتشر في المنطقة "كالكوليرا أو الطاعون أو الجراد" ، للمزيد عن الموضوع ينظر :-

Shafi Aldamer , Saudi – British Relations 1939-1953 , A Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy in International Relations and Strategic Studies of Middle East , University of Durham , The Faculty of Social Sciences Center for Middle Eastern and Islamic Studies , 2001 , p.210 .

كما ابلغ الملك عبد العزيز الوزير البريطاني المفوض في جدة في أيلول ١٩٤٧ ، "انه يفضل الموت على مقابلة ممثل سوفييتي في بلاده" . ينظر :- الهامش رقم ١٧٨ في : خليل علي مراد ، المصدر السابق ، ص٣٤٨ .

(87) فيتالي ناؤومكين ، المصدر السابق .



